

(١)

### حرمة الاعتداء والتخريب وضرورة البناء والتعمير

الحمد لله رب العالمين، القائل في كتابه العزيز: {وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ}، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله، القائل في حديثه الشريف: ( لَا يَجِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَرُوَّعَ مُسْلِمًا )، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وبعد:

فإن الدين الإسلامي دين يدعو إلى البناء والتعمير، لا إلى الهدم والتخريب والتدمير، دين الرحمة والأمن والسلام للناس جميعاً، يأمر بحفظ النفس والمال والعرض، وينهى عن القتل والاعتداء وترويع الآمنين، كما ينهى عن الفساد والإفساد في الأرض، فستان بين من يخرّب ويدمر ويكدر حياة الناس بالفساد والإفساد، وبين من يعمر ويبني ويتنافس في إسعاد الآخرين وإدخال السرور عليهم.

فقد خلق الله (عز وجل) الإنسان لعبادته وطاعته، فقال سبحانه: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ}، وجعل من مظاهر هذه العبادة تزكية النفس البشرية وتهذيبها بالأخلاق الحسنة، وكذلك إعمار الأرض وإصلاحها، واستخراج كنوزها، والحفاظ عليها وتنميتها، وعدم الاعتداء على مقومات الحياة وعمارتها، قال تعالى: {هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا}، فكل ما من شأنه أن يحدث فساداً، أو اعتداءً، أو تخريباً وتدميراً، أو ترويعاً للآمنين، يُعدُّ إفساداً في الأرض.

ومن ثمَّ فإن الاعتداء على الدين، أو النفس، أو العقل، أو المال، أو العرض أو ترويع الآمنين هو فساد وإفساد حذّر منه الإسلام بكلِّ صورته وأشكاله، فقال تعالى:

(٢)

{وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا}، وقال سبحانه : {إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ}.

ولقد جاءت رسالات السماء كلها داعيةً إلى الإصلاح والحفاظ على هذه الكليات الخمس ، ومحذرةً من الفساد والتخريب ، فقال تعالى على لسان نبيه صالح (عليه السلام) لقومه : { فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا \* وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ \* الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ }، وقال تعالى أيضاً: {فَادْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ}.

وقال تعالى على لسان شعيب (عليه السلام) : { يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ }، وقال تعالى : {فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا} ، وقال سبحانه على لسان موسى (عليه السلام) : {كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ}، ثم هو يقدم النصيحة الغالية لأخيه : { وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ }.

إن الفساد والتخريب والاعتداء على الأنفس وترويع الآمنين ما هو إلا نشر للفوضى ، وتخريب للمجتمعات ، فهؤلاء العملاء والخونة الذين يريدون تخريب الأوطان والاعتداء على الآمنين ، هم فئة ضالة منحرفة ضلت الطريق ، وانسلخت من كل معاني المروءة والإنسانية ، إلى الاعتداء والتخريب والتدمير والتفجير ، وتعريض حياة الناس للخطر ، هؤلاء لا علاقة لهم بالإسلام ، ولا بالأديان ، ولا بالإنسانية ؛ فهم يلبسون الباطل ثوب الحق ، ويظهرون في صورة المصلحين ، لكن الله (عز وجل) كشف أمرهم بقوله تعالى : { وَمَنْ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ

(٣)

عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ \* وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ  
الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ \* وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ  
جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ}، فهو سبحانه وتعالى يعلم حالهم ، لا يخفى عليه شيء في  
الأرض ولا في السماء ، قال تعالى : { وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ } .

ولقد بين الحق سبحانه وتعالى ضلال هؤلاء الذين يظهرون بمظهر الإصلاح ،  
ويتخذون من العنف والقتل والتخريب ، وإشاعة الفوضى والرعب بين الناس سبيلاً  
لهم ، متوهمين أنهم على الحق ، فقال تعالى : { قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا  
الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يُحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا } .

وقد تنوعت صور الإفساد والاعتداء والتخريب في الأرض ، فمنها : قتل النفس  
التي حرم الله (عز وجل) قتلها إلا بالحق ، بغض النظر عن اعتقادها ودينها ، فالنفس  
البشرية معصومة أيًا كانت ديانتها ، وقد حرص الإسلام كلَّ الحرص على حفظ الدماء  
والأموال والأعراض ، فقال تعالى : { وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ  
وَصَاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ } ، فحرم كلَّ اعتداءٍ أو ترويعٍ للأمينين وكلَّ ما يهدد الأمن  
والاستقرار من إرهابٍ أو إفسادٍ في الأرض أو اعتداءٍ على الأبرياء .

بل جعل الإسلام الاعتداء على النفس الواحدة بمثابة الاعتداء على الناس  
جميعاً ، فقال جل شأنه : { مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا  
يَعْبُدُ نَفْسًا أَوْ فَسَادًا فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا  
النَّاسَ جَمِيعًا } ، وقال نبينا (صلى الله عليه وسلم) : ( لَوْ أَنَّ أَهْلَ السَّمَاءِ وَأَهْلَ الْأَرْضِ  
اشْتَرَكُوا فِي دَمِ مُؤْمِنٍ لَأَكْبَهُمُ اللَّهُ فِي النَّارِ ) ، فقتل النفس البشرية لا يقره دين  
سماوي ولا عقل مستنير .

(٤)

وقد أكد النبي (صلى الله عليه وسلم) على عصمة الدماء وحرمة النفس البشرية بقوله في حجة الوداع : ( إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا وَسَتَلْقَوْنَ رَبَّكُمْ فَيَسْأَلُكُمْ عَنْ أَعْمَالِكُمْ فَلَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا أَوْ ضُلَالًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ ).

كما كفلت شريعة الإسلام للإنسان الحق في عيشٍ آمنٍ مطمئنٍ ، فنهت عن ترويعه وتخويفه ، وحرمت التعدي عليه أو التعرض له بالإيذاء والضرر في نفسه أو ماله أو عرضه أيًا كان جنسه أو لونه أو معتقده ، لأن ذلك من مظاهر الفساد ، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : ( لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَرُوعَ مُسْلِمًا ) ، ويقول (صلى الله عليه وسلم) : ( لَا يُشْرَ أَحَدُكُمْ عَلَى أَخِيهِ بِالسَّلَاحِ ، فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي لَعَلَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ فِي يَدِهِ ، فَيَقَعُ فِي حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ ) ، حتى ولو كان الترويع على سبيل المزاح ، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : ( مَنْ أَشَارَ إِلَى أَخِيهِ بِحَدِيدَةٍ فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَلْعَنُهُ حَتَّىٰ وَإِنْ كَانَ أَخَاهُ لِأَبِيهِ وَأُمِّهِ ) .

وكذلك نهى الإسلام عن ترويع المعاهد ، والمستأمن ، لما كفله لهم الإسلام من حقوق وواجبات ، يقول (صلى الله عليه وسلم) : ( مَنْ قَتَلَ مُعَاهِدًا لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ وَإِنَّ رِيحَهَا تُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا ) ، فالإيمان الصحيح يمنع الإنسان من حمل السلاح على الأمنين وترويعهم .

بل إن الإسلام نهى عن مجرد الإيذاء باللسان ، فقال (صلى الله عليه وسلم) : ( الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ ، وَالْمُؤْمِنُ مَنْ أَمِنَهُ النَّاسُ عَلَى دِمَائِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ ) ، وفي رواية عبد الله بن عمرو بن العاص (رضي الله عنهما) أن رجلاً سأل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أي المسلمين خير؟ قال : ( مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ )

(٥)

لِسَانِهِ وَيَدِهِ ) ، فلا خير فيمن يدعي الإسلام وهو يؤذى الناس بالقول والفعل .  
والحق الذي لا مرء فيه أن الإسلام دين الصلاح والإصلاح ، دين الأمن والأمان ، والسلام والسلام ، دين يصون النفس الإنسانية ويحرم الاعتداء عليها ، فلفظ الإسلام مأخوذ من مادة السلام ؛ لأن الإسلام والسلام يحققان الطمأنينة والأمن وصيانة الحرمات ، والله تعالى من أسمائه السلام ، ورسول الإسلام (صلى الله عليه وسلم) يدعو الناس إلى السلام الذي يجمع القلوب على المحبة ، فيقول (صلى الله عليه وسلم) : ( لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا ، أَوْلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ ) .

**أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم**

\* \* \*

الحمد لله رب العالمين ، وصلاة وسلاماً على خاتم أنبيائه ورسله سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

**أخوة الإسلام :**

من صور الفساد والتخريب : الاعتداء على رجال الأمن المرابطين سواء في أرجاء الوطن أم على حدوده ، ومنها : زعزعة الاستقرار في البلاد ، ونشر الأقوال المغلوطة والمعتقدات الفاسدة والتشكيك في الإنجازات الوطنية ، ومنها : العمل على بثّ الفتنة والفرقة بين أبناء المجتمع الواحد .

وأبشع أنواع الإفساد هو ما استُبيحت به الدماء باسم الدين ، والدين منه براءً ، فقد ابتليت الأمة بأناسٍ يفسدون في الأرض ولا يصلحون ، وهؤلاء قد ذمهم

القرآن الكريم وتوعدهم بالعذاب العظيم ، فقال تعالى : { وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا } .

ونؤكد أنه لا بد من التصدي وبحزم وحسم لكل صور الفساد ، فالمفسدون هم معول هدم للمجتمع ، والتصدي لهم فيه نجاة للمجتمع كله ، وإهمالهم وعدم التصدي لهم فيه الهلكة للمجتمع كله ، قال (صلى الله عليه وسلم) : { مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ وَالْوَاقِعِ فِيهَا كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلَاهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ الْمَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا وَنَجَوْا جَمِيعًا} ، فالله (عز وجل) يدفع بالمصلحين فساد المفسدين ، قال تعالى : { فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ } .

فالتصدي للفساد مسئولية الجميع ، وأول صور التصدي للفساد عدم قبوله ورفضه وبيان خطورته وأثره على الفرد والمجتمع ، فلا بد من التآزر والتعاون والتناصر والتضامن بين جميع أبناء الوطن لتصل سفينة الوطن إلى بر الأمان .

كما نؤكد أن من أعان المفسدين ، أو رضي بأفعالهم ، أو تستر عليهم ، أو دافع عنهم ولو بكلمة - وخاصة من يفسد باسم الدين - فهو شريك لهم في الإثم ، وقد نهى الله (تعالى) عن ذلك بقوله : { وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ } ، وقال (صلى الله عليه وسلم) : { إِنَّ اللَّهَ لَا يُعَذِّبُ الْعَامَّةَ بِعَمَلِ الْخَاصَّةِ ، حَتَّى يَرَوْا الْمُنْكَرَ بَيْنَ } .

(٧)

ظَهَرَانِيهِمْ، وَهُمْ قَادِرُونَ عَلَى أَنْ يُنْكِرُوهُ فَلَا يُنْكِرُوهُ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ، عَذَّبَ اللَّهُ  
الْخَاصَّةَ وَالْعَامَّةَ).

وفي مواجهة هذا الفساد والتخريب لا بد من البناء والتعمير ، فنحن نواجه  
صناعة الموت بصناعة الحياة ، ونعمل على تحقيق الأمن والأمان والحياة الكريمة  
للجميع ، وعلى كل منا أن يؤدي واجبه تجاه دينه ووطنه ، وأن ننمي روح العمل  
والإتقان ، وعمارة الكون ، وبناء الحضارات ، كما يجب أن نعلي من روح التعاون  
والتكافل بما يحقق الأمن والسلام والطمأنينة ، والتقدم والرخاء والازدهار للوطن  
جميعاً ، بل للإنسانية جمعاء .

اللهم احفظ مصرنا بحفظك ، واكفها شر الفساد والمفسدين واجعلها في  
أمانك وضمانك إلى يوم الدين.